@ 438 @ من جميع أصناف النعم ، مما يعرف العباد ، ومما لا يعرفون ، وما يدفع عنهم من النقم ، فأكثر من أن تحصى ، ! 2 2 ! يرضى منكم باليسير من الشكر ، مع إنعامه الكثير . وكما أن رحمته واسعة ، وجوده عميم ، ومغفرته شاملة للعباد ، فعلمه محيط بهم ، ! 2! 2 بخلاف من عبد من دونه ، فإنهم ! 2 2 ! قليلا ولا كثيرا ! 2 2 ! ، فكيف يخلقون شيئا مع افتقارهم في إيجادهم إلى ا تعالى ؟ ومع هذا ، ليس فيهم من أوصاف الكمال شيء ، لا علم ، ولا غيره ، ! 2 2 ! فلا تسمع ، ولا تبصر ، ولا تعقل شيئا ، أفنتخذ هذه آلهة من دون رب العالمين ؟ فتبا لعقول المشركين ، ما أضلها ، وأفسدها ، حيث ضلت في أظهر الأشياء فسادا ، وسووا بين الناقص من جميع الوجوه فلا أوصاف كمال ، ولا شيء من الأفعال ، وبين الكامل من جميع الوجوه الذي له كل صفة كمال ، وله من تلك الصفة أكملها وأعظمها ، فله العلم المحيط بكل الأشياء ، والقدرة العامة ، والرحمة الواسعة ، التي ملأت جميع العوالم ، والحمد والمجد والكبرياء والعظمة ، التي لا يقدر أحد من الخلق ، أن يحيط ببعض أوصافه ولهذا قال : ! 2 2 ! وهو : ا الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . فأهل الإيمان والعقول ، أحلته قلوبهم وعظمته ، وأحبته حبا عظيما ، وصرفوا له كل ما استطاعوا من القربات البدنية والمالية ، وأعمال القلوب وأعمال الجوارح ، وأثنوا عليه بأسمائه الحسنى ، وصفاته ، وأفعاله المقدسة ، ! 2 2 ! لهذا الأمر العظيم الذي لا ينكره إلا أعظم الخلق ، جهلا وعنادا ، وهو : توحيد ا ! 2 2 ! عن عبادته . ! 2 2 ! أي : حقا لا بد ! 2 2 ! من الأعمال القبيحة ! 2 2 ! بل يبغضهم أشد البغض ، وسيجازيهم من جنس عملهم ! 22 ! . ! 2 2 ! يقول تعالى مخبرا عن شدة تكذيب المشركين بآيات ا : ! 2 2 ! أي : إذا سئلوا عن القرآن والوحي ، الذي هو أكبر نعمة أنعم ا بها على العباد . فماذا قولكم به ؟ وهل تشكرون هذه النعمة وتعترفون بها ، أم تكفرون وتعاندون ؟ فيكون جوابهم أقبح جواب وأسمجه ، فيقولون عنه : إنه ! 2 2 ! أي : كذب اختلقه محمد على ا ، وما هو إلا قصص الأولين التي يتناقلها الناس ، جيلا بعد جيل ، منها الصدق ومنها الكذب ، فقالوا هذه المقالة ، ودعوا أتباعهم إليها ، وحملوا وزرهم ، ووزر من انقاد لهم إلى يوم القيامة . وقوله : ! 2 2 ! أي : من أوزار المقلدين الذين لا علم عندهم ، إلا ما دعوهم إليه ، فيحملون إثم ما دعوهم إليه ، وأما الذين يعلمون ، فكل مستقل بجرمه ، لأنه عرف ما عرفوا ! 2 2 ! أي : بئس ما حملوا من الوزر المثقل لظهورهم ، من وزرهم ، ووزر من أضلوه . ^ (قد مكر الذين من قبلهم) ^ برسلهم ، واحتالوا بأنواع الحيل ، على رد ما جاؤوهم

به ، وبنوا من مكرهم ، قصورا هائلة ، ! 2 2 ! أي : جاءها الأمر من أساسها وقاعدتها ، ! 2 2 ! فصار ما بنوه عذابا ، عذبوا به ، ! 2 2 ! وذلك أنهم ظنوا أن هذا البنيان سينفعهم ، ويقيهم العذاب ، فصار عذابهم فيما بنوه وأصلوه . وهذا من أحسن الأمثال ، في إبطال ا مكر أعدائه . فإنهم فكروا وقدروا فيما جاءت به الرسل لما كذبوهم ، وجعلوا لهم أصولا وقواعد من الباطل ، يرجعون إليها ، ويردون بها ما جاءت به الرسل ، واحتالوا أيضا على إيقاع المكروه والضرر بالرسل ومن تبعهم ، فصار مكرهم وبالا عليهم ، فصار تديبرهم فيه تدميرهم ، وذلك لأن مكرهم سيىء ^ (ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله) ^ ، هذا في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى ، ولهذا قال : ! 2 2 ! أي : يفضحهم على رؤوس الخلائق ، ويبين لهم كذبهم ، وافتراءهم على ا . ! 2 2 ! أي : تحاربون